التغيير الاجتماعي

السؤال الهام الذي يجب ان يسأله اي مراقب او باحث هو « ما نوع ودرجة التغيير الاجتماعي الذي حصل في المخيمات في ربع القرن الماضي ؟ » .

من الصعب ملاحظة وقياس التغيير الاجتماعي في مجتمع مغلق وغير صناعي . لذلك قد يقول العديد من المراقبين ان مجتمع المخيم كوحدة اجتماعية لم يتغير اطلاقا . ولكن هذا غير صحيح لان درجة معينة من التغيير قد حصلت . والتغيير لم يكن كبيرا ومثيرا لان القاعدة الاقتصادية للمجتمع لم تتغير .

ويمكن ملاحظة التغيير الاجتماعي في المخيمات في النواحي التالية :

أ) لقد خفت الخلافات العشائرية بين القرى المختلفة داخل كل مخيم وما لبثت ان انتهت . فمنذ عدة سنوات لم تقع اية مشاجرات جماعية بين القرى داخل المخيمات . ويرجع هذا التغيير الى عاملين هما : ازدياد الوعي الوطني عند الناس ، وازدياد عدد المتعلمين في المخيمات .

ب) حصل تغيير في نوع القيادة السياسية المقبولة جماهيريا . وكان التغيير بالاتجاه التالي : من الرفض التدريجي للقيادات التقليدية الى القبول التام بالقيادات الثورية . كذلك حصل لاول مرة ان قبلت الجماهير قيادات غير محلية مثل المسؤولين الفدائيين من غزة . وقبول هذه القيادات « الخارجية » مقتصر على المجالين السياسي والعسكري ، ولكن هناك ميلا لقبولها على المستوى الاجتماعي ايضا ، اذ يقوم الناس بدعوة القادة الفدائيين أحيانا لحل مشكلة اجتماعية ما او للتحكيم في خلاف اجتماعي ما .

ج) لقد استبدلت الحالة النفسية العامة المتصفة بالاتكالية والشعور بالعجز واحتقار الذات بحالة نفسية متصفة بالاستقلالية والشعور بالقيمة الذاتية واحترام الذات .

د) لقد تغيرت الهوية الذاتية من « لاجىء » الى « فلسطيني » .

هـ) حصل تغير بسيط او معقول في الموقف من المرأة . فبعض الرجال يسمحون الان لنسائهم (زوجاتهم ، بناتهم ، امهاتهم ، او اخواتهم) بالعمل . وبعضهم لا يعترض على الثياب الحديثة المتحررة نسبيا . وبعضهم يشجعون نساءهم على تحصيل دراسة ثانوية او جامعية او مهنية . وقد زال بشكل عام فرض « ازواج المستقبل » على الفتيات ، وان كان الاهل ما زالوا يلعبون دورا هاما في زواج بناتهم ، وقد اكتسبت الفتيات حرية الاختيار باشراف الاهل ، وحرية قول « لا » لرجل اختاره اهلها دون استشارتها . ولكن ما زالت الفتيات لا تملكن حرية الخروج مع الشبان قبل الزواج او الخطوبة (لكنهن بالطبع يخرجن سرا كما يحدث في كل المجتمعات المحافظة) .

و) هناك هوة كبيرة بين آراء الشباب وآراء الكبار حول عدة مسائل اجتماعية وحول بعض العادات والتقاليد ثم حول انماط التصرف السائدة . ولكن هذه الهوة لم تصل الى حد حدوث انفصال تام بين الجيلين ، والتوازن في العلاقة ما زال قائما نتيجة للروابط التقليدية الوثيقة . ومن الصعب جدا تقدير هذا التغير وتحديده بدون دراسة تجريبية وموضوعية .

ز) لقد نجح الشباب في تحسين علاقة المجتمع الفلسطيني في المخيم مع المجتمع اللبناني . وقد اصبح المجتمع الفلسطيني في المخيم اكثر انفتاحا ويحاول الشبان مد جسور ، على عكس آبائهم الذين كانوا سلبيين ومنعزلين على انفسهم . وهذا التغير لا يعود بالطبع الى جهود الشبان وحدها ، وانما يرجع ايضا الى تغير في البيئة وفي الظروف السياسية للفلسطينيين واللبنانيين .